رسالة شكر

هناء كرم

السيدة هيفا المحترمة
تحية طيبة وبعد،
أنا مريم ، عمري عشر سنوات، كنت مع أهلي عندكم في المدرسة منذ الأيام الأولى لحرب تموز الاسرائيلية على لبنان، أود أن أرسل لكم رسالة شكر لأنكم استقبلتمونا في مدرستكم حين هربنا من بيوتنا.
أرجو ألا تزعلوا لأننا غادرنا أول يوم توقف فيه القصف فهذا لا يعني أننا لم نكن مرتاحين عندكم بل لقد اشتقنا الى قريتنا وبيتنا.
ماما تقول ربما لن نجد بيتنا فقد هدموا أكثر البيوت، كنت سأبكي حين قالت ذلك لكنها أفهمتني أن هذا غير مهم جداً، ما هو مهم أن المقاومة انتصرت وبيتنا سنبنيه سريعاً ان شاء الله، سنسكن في خيمة أو في أي مكان ريثما نبني بيتنا، فمثلنا كثيرون وسنفعل مثلما يفعلون، المهم أن نكون معاً.
ربما لن تتذكروني لأننا كنا كثر، لكني أريد أن أشكركم على كل محاولاتكم لتأمين الراحة لنا.
حين كنت أنزعج من شيء أو أحس بحاجة الى شيء كنت أستاء وأقول لماما لماذا ليس عندنا هذا، أو لماذا لا يعطونا ذاك؟ كانت تقول لي دائماً :" كلا يا حبيبتي ، يجب أن تشكريهم لأنهم يقومون بكل ما في وسعهم وحين أخبرتها أنهم أحياناً يعطون أشياء لباقي الأولاد ولا يعطوني كانت تؤكد لي أن الآخرين يحتاجونها أكثر مني، فأنا أكبُرُ، وأنا أصدق ماما بكل ما تقول وقد أكدت لي ذلك الأخت كارولين، المعلمة التي كانت تعتني بنا أحياناً وتحب أن نسميها "الأخت كارولين".
قبل أن يذهب بابا أوصاني أن أطيعها وأنا أنتظر عودته لأخبره بأنني حاولت ذلك في معظم الأحيان. وعندما أسألها عنه وعن موعد عودته كانت تقول : قريباً، قريباً.

كنت أحس أن ماما تبكي في السر أحياناً لكنها ترفض أن تخبرني بأي شيء.
تقول أن علينا أن نبقى مبتسمين من أجل أخوتي الصغار ومن أجل الجيران فنحن نعيش في غرفة واحدة واذا حزنا أو زعلنا فذلك سيؤثر على الجميع.
كانت تحاول دائماً أن تحكي لنا حكايات حلوة حتى نتسلى، والشابات كنَّ يدعونها لمساعدتهم على تسليتنا عندما ينشغلون بتحضير الطعام.
مدام هيفا،

أريد أن أعتذر عن جارتنا وعن كل ما فعلته وقالته، قالت ماما أن أعصابها كانت تعبانة لأنها قلقة على زوجها وأبنائها وبيتها ونحن جميعاً يجب أن نفهم ذلك ونقدره ولا نزعل منها. فأرجو ألا تكونوا قد زعلتم منها أيضاً وأشكركم لأن ماما قالت أنكم تفهمتم هذا ولم تجيبوها وتجعلوا القضية كبيرة. مع أنني لا أعرف كيف تتحول الأمور الى قضية كبيرة لكني أصدق ماما.
كما أود أن أخبر الأخت مها التي ساعدت ابنة جارتنا في ولادتها أنني ما زلت أعتني بالطفلة الصغيرة مها التي سموها على اسمها، وطوال الطريق كنت أساعد أمها وأحمل لها زجاجة الحليب وأساعدها في كل ما تطلبه مني. وحين توقف الباص آخر مرة سارعت الى حملها بين ذراعي لساعة كاملة لتتمكن والدتها من أن تنزل وتتمشى قليلاً لتريض أقدامها.
فأنا كما عهدتني صبية كبيرة وسأكون كذلك عند وصولنا الى ضيعتنا.
عندما أرى كلبي فهد سأعرّفه عليها وأدربه على العناية بها معي. فربما سننام في الخيمة ويجب أن يحمينا من الضباع.
وأخيراً أود أن أخبرك أنني احتفظت بكل الرسوم التي رسمناها ونحن في مدرستكم وسأريها لمعلمتي وأخبرها عن كل رسم.
لا أعرف متى سنذهب الى المدرسة وان كانت مدرستنا موجودة أو لا، لكن ماما أكدت لي أن المدرسة ستفتح قريباًوأنا كما قلت لك أصدقها.

قبل أن أودعكم أحب أن أدعوكم لزيارتنا ، وأريد أن أوكد لكم أنكم يجب ألا تخافوا لأنكم لم تزوروا ضيعتنا من قبل، ماما قالت عندما كنا آتين لزيارتكم وسألتها ألا نخشى من الاقامة في منطقة لم نذهب اليها قبلاً، وأهلها لم نزرهم من قبل؟
قالت : لا، فنحن في بلدنا ويجب ألا نخاف لأننا كلنا أهل وأبناء بلد واحد.
اذن أنتم أيضاً باستطاعتكم زيارتنا بلا خوف فنحن أبناء بلد واحد.

أودعكم الآن وأرسل لكم قبلاتي الحارة وأعدكم أنني سأكتب لكم رسائل أخرى عندما نصل الى ضيعتنا .
أشكركم والى اللقاء
مريم

آب 2006
هناء كرم